الفصل الأول

الطب التكاملى

يمثل الطب التكاملى ثورة إصلاحية فى عالم الطب مثل الدعوات الإصلاحية فى المجالات الأخرى كالسياسة والاجتماع إلخ ، والهدف من ذلك إصلاح المسار الطبى الحديث ، وتنقيته من الممارسات العنيفة غير الآمنة، وإثراؤه عن طريق الجمع بين كل ما هو آمن للوقاية والتشخيص والعلاج من وسائل الطب التقليدى الغربى والطب البديل الشرقى ، مع الأخذ فى الاعتبار الاستخدام الأمثل للوسائل الآمنة الأقل عنفًا للقيام بذلك، ويمثل الطب التكاملى مفهومًا أعمق ورؤية طبية أشمل وأوسع، تهدف إلى تحسين الصحة والمحافظة عليها ومنع الأمراض وتشخيصها ومعالجتها بطرق آمنة ، ويقوم على هذا النوع من الطب أطباء بشريون ، درسوا الطب التقليدى الغربى وبعض أنواع الطب البديل الشرقى ، وهذه الفئة من الأطباء هى الأقدر على فهم الوسائل والبدائل فى هذه النوعية من الطب، ولا يمكن أن يمارس الطب التكاملى أى ممارس لم يدرس الطب التقليدى، لأنه ببساطة لن يكون مؤهلاً ولا قادرًا ولا كفئًا للقيام بذلك !

وتقدم عيادات الطب التكاملى خدماتها لقطاعات واسعة من المرضى بدءًا من الالتهابات البسيطة العابرة وحتى الأمراض السرطانية الخطيرة، مرورًا بأمراض الدورة الدموية مثل أمراض القلب والأوعية الدموية ، والغدد ، مثل السكرى ، وأمراض المفاصل إلخ .

ويركز الطب التكاملى على الجانب الوقائى فى مواجهة الأمراض ، و يعتبر نفسه فى أحسن حالات النجاح إذا منع وقوع المرض من الأصل ؛ لذا فإن الجانب التعليمى والتثقيفى من الأهمية بمكان فى هذا النوع من الطب . **ومن مفاهيم الطب التكاملى الرئيسية :**

١ ـ مشاركة المريض للطبيب فى عملية الاستشفاء مشاركة فعلية وتقوية علاقة المريض مع الطبيب .

٢ ـ الأخذ فى الاعتبار بشكل شمولى كل العوامل التى تؤثر على الصحة والمرض مثل العقل والروح والجسد والمجتمع والبيئة إلخ .

٣ ـ مراعاة الأسس العلمية والدلائل الطبية دون تحيز إلا لمصلحة المريض والمجتمع والبشرية .

٤ ـ علاج أسباب المرض وليس علاج أعراضه .

٥ ـ ربط أسباب المشكلة بالعلاقة مع الطبيعة .

٦ ـ سعة أفق ممارسى الطب التكاملى واطلاعهم على أنواع مختلفة من الطب بجانب دراستهم للطب التقليدى مثل (الطب الغذائى ـ طب الجسم والعقل ـ طب التكيف مع الحياة ـ الطب الروحى) بالإضافة إلى فلسفة العلم وفن الطب ، ومعرفة وإلمام بالطب البديل ونقاط القوة والضعف بمختلف مجالاته .

وتشمل دراسة الطب التكاملى بجانب الطب الغربى التقليدى والطب الشرقى البديل أشياء كثيرة منها :

١ ـ فلسفه العلم .
٢ ـ فن الطب .
٣ ـ الطب والثقافة .
٤ ـ أسلوب الحياة .
٥ ـ الطب الغذائى .
٦ ـ النشاط الرياضى .
٧ ـ طب العقل والجسد .
٨ ـ الطب والناحية الروحية .
٩ ـ التأمل والتفكر .
١٠ ـ طب الأعشاب والنباتات .
١١ ـ الطب والطاقة .
١٢ ـ الطب التجانسى (المثلى) .
١٣ ـ الطب الوقائى .
١٤ ـ الهيمـوباثى (الطب التجانسى) .
١٥ ـ الطب الصينى مثل (الإبر الصينية) .

وليس الغرض من كل هذه الدراسات أن يكونوا خبراء ومعالجين ؛ بل أن يكونوا ملمين بالأنواع الأخرى من الطب ولديهم معرفة بكيفية استفادة المريض من هذه الطرق وكيفية توجيه المريض بطريقة صحيحة .

ويدل على سعة أفق القائمين على هذا النوع من الطب ، طلب رائد الطب التكاملى بالعالم وكبير مؤسسيه الدكتور أندرو ويل (رئيس قسم الباطنة بكلية طب جامعة أريزونا ـ الولايات المتحدة، وهو فى نفس الوقت المشرف العام على برنامج زمالة الطب التكاملى بنفس الجامعة) إدراج الطب الإسلامى التقليدى فى دراسات الطب التكاملى ، وذلك فى رسالة رقيقة لى ردًا على إرسالى كتبى ودوراتى وجهدى فى مجال الطب التكاملى بالوطن العربى، ومن فضل الله علينا أن ينتبه أمثال هذا العالم الفذ للطب الإسلامى والنبوى ويعمل على إدراجه فى مناهج زمالة الطب التكاملى بأمريكا ، وقد يكون من المناسب توجيه رسالة جديدة لكافة كليات الطب بالعالم العربى ؛ خاصة كليات الطب بجامعة الأزهر الشريف بمصر، حاملة رسالة الإسلام من أول يوم أسست فيه وللأبد بمشيئة الله تعالى ، وجامعات السعودية أرض الحرمين الشريفين، وكليات الطب السورية حيث يدرس الطب بلغة القرآن الكريم ، بحيث تطلب الرسالة أن يعطوا هذا الأمر اهتمامًا خاصًا ، فينشئوا دراسات عليا فى مجال الطب التكاملى ؛ تشبع رغبة أطباء العالم العربى فى ولوج بحور هذا الطب الزاخرة ، فلماذا لا نكون رؤوسًا فى هذا الأمر ؛ بأن تصبح أى دولة عربية ثانى دولة فى العالم بعد أمريكا لديها دراسات عليا لزمالة الطب التكاملى، وأنا أمد يدى لكل المجتهدين فى هذا المجال أيًا كان موقعهم لكى نبنى صروحًا علمية وبحثية وتعليمية وعلاجية فى هذا المجال الحيوى النافع .

وجدير بنا التحذير من الممارسات التى يقوم بها غير الأطباء تحت مسمى الطب التكاملى ، فهى ممارسات من غير أهلها ، ومما ينبغى أن يُحاسب عليها شرعًا وقانونًا ، فمن قواعد الإسلام أن من تطبب ولم يُعْلم عنه الطب فهو ضامن ، ونحن لانقبل أن يكتوى الهاربون من رمضاء الطب التقليدى بنار مدعى الطب التكاملى أو البديل ، وأن يظهر الأمر وكأنه باب لكل مُدَّع أن يدخل منه للتحكم فى صحة الناس بغير سند علمى مقنن، والحق أن ممارسات كثيرة خاطئة قد انتشرت بالبلاد العربية تحت هذا المسمى وغيره ، وهذا مما ينبغى وضع حد له .

فاحرص يا أخى الكريم ويا أختى الفاضلة على الصحة ولا تسلم أمر نفسك إلا لمن تأهل لذلك ، وتأكد بنفسك ، وإن كنت لا تسلم سيارتك لعامل بناء ولا جهازك الكهربى لعامل زراعى ؛ فأولى بك أن لا تسلم جسدك وصحتك لإنسان غير مؤهل ، أوليست صحتك وجسدك أولى بالعناية من أى شىء فى الوجود؟!

الطب التكاملى وخفض نفقات العلاج

يساهم الطب التكاملى فى خفض نفقات العلاج لدرجة كبيرة ، وقد أشار لذلك تقرير نشر فى كلية طب جامعة أريزونا بالولايات المتحدة الأمريكية عن أهمية الطب التكاملى فى حل أزمة ارتفاع التكاليف ، سواء من حيث الأجور أوالتجهيز مقارنة بالطب التقليدى .

إن السبب وراء زيادة تكاليف الطب التقليدى هو اعتماده الكلى على التكنولوچيا وهو مكلف بشكل خيالى ، وإذا لم نغير هذا الاعتماد فلا يوجد أى أمل بخفض التكاليف . لقد أصبح للاقتصاد تأثير واضح على مستوى تقديم الخدمات الطبية ، والمرضى يتجهون للبحث عما يخفض تكلفة العلاج الباهظة ، وخفض الخيارات التكنولوچية ؛ للوقاية ومنع الأمراض وعلاج المرض . والمرضى فى ذلك واضحون جداً فى التعبير عن رغبتهم فى استخدام العلاج الطبيعى والطب التكاملى والطب البديل ، ومن الواضح أن هذا ليس بدعة أو موضة ولكنه اتجاه اجتماعى وحضارى عالمى . وله جذور عميقة وأهمية اقتصادية كبيرة .

واجب الطبيب فى الطب التكاملى

إن كلمة طبيب بالإنجليزية ترجمت من اللاتينية ، ومعناها المدرس ، لذا يجب على الأطباء أن يدرسوا للناس كيف يتجنبون المرض ، ويمكنونهم من أجدى وأسلم الطرق لعلاج أمراضهم .

إن الطب التكاملى هو اتجاه الطب فى المستقبل ؛ لأنه يعيد اهتمامات الطب لتشمل إعادة علاقة الطبيب مع المريض وربط الطب بالعلاج والطبيعة والتوسع بالعلم .

وقد أكدت مجموعة من الباحثين المهتمين بالطب التكاملى على أهمية طرق البحث العلمى والحاجة للعلاج المعتمد على الحقائق . وكُونت لجان متفرعة لدراسة المواد المتعلقة بالبرنامج الأكاديمى والبحثى والممارسة السريرية، وكذلك التخطيط لعقد اجتماعات فى المستقبل وعمل محاولات لإقناع المدارس والجامعات الأخرى بالانخراط فيها، وسواء قبلتها أو لم تقبلها ؛ فهذه التغيرات ستغزو الطب بسبب الضغوط الاقتصادية وطلب المرضى . وقالوا بأن الطب التكاملى يعطى الوعود القاطعة والحتمية بأنه سوف يكون فى مقدمة الطب فى القريب العاجل وأنه سيقلل من تكاليف العناية بالصحة، ويحسن صحة الإنسان ويعيد ثقة وقناعة المرضى وكافة الناس بالطب.

***